(٥)

العراق في التاريخ الحديث والمعاصر

١ ــ العراق بين الصفويين والعثمانيين :

بعد أن اتخذ الصفويون من المذهب الشيعى مذهبا رسميا لدولتهم عمل الشاه اسماعيل بن حيدر الصفوى على نشر هذا المذهب فى العراق[١] وتطلع الى الاستيلاء عليه طمعا فى خيراته ؛ ولوجود العتبات المقدسة (النجف وكربلاء)[٢] فيه فاستولى على بغداد فى ٢٠ من جمادى الآخرة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م وأجرى مذابح واسعة النطاق ضد أهل السنة ، ودمر مزاراتهم ومساجدهم واوقع بهم أشد أنواع العقاب[٣] ونتيجة لذلك استنجد أهل العراق بالدولة العثمانية التى كانت تعد نفسها فى ذلك الوقت حامية للمذهب السنى فبادرت باعلان الحرب على الصفويين[٤] ونجح السلطان سليم فى هزيمتهم فى وادى جالديران فى ٢ من رجب ٩٢٠هـ اغسطس ١٥١٤م ، ودخول عاصمتهم « تبريز »[٥] .

ونتيجة لذلك نجح العثمانيون فى وقف الزحف الشيعى على العراق لفترة ، وزعزعة النفوذ الايرانى فى المنطقة العربية ، وهز كيان الموالين

---

(١) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ١ القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ ص ١٩ .

(٢) عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ٥ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٢هـ ص ٧٨ .

(٤) بديع جمعه : الشاه اسماعيل الكبير ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٠ ص ٥ .

(٥) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ــ تحقيق احسان حقى ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ١٩٠ .

لـــه[٦] . لدرجة أن أعلن « ذو الفقار » حاكم بغداد ٩٣٤ — ٩٣٦هـ / ١٥٢٧ — ١٩٢٩م انفصاله عن الصفويين والولاء للعثمانيين وخطب باسم السلطان العثمانى على المنابر فى بغداد .

وعلى الرغم من انتصارات العثمانيين الكاسحة ضد الصفويين فقد اكتفى السلطان العثمانى بضم المناطق الشمالية من العراق والموصل الى دولته ، وبعدها انشغل العثمانيون عن أمور العراق مما أتاح للشـــاه « طهماسب » السيطرة عليه مرة اخرى[٧] واتاح للبرتغاليين القيام بحملتهم الأولى على البصرة بقيادة « مونادى كونها »[٨] .

وظل الصراع على العراق بين العثمانيين والفرس حتى تمكن السلطان سليمان القانونى من ارسال حملة تمكنت من الاســـتيلاء عليه فى ٢٤ من جمادى الآخرة ٩٤١ الموافق ٣١ من ديسمبر ١٥٣٤م . وعلى الرغم من أن السلطان سليمان القانونى قد انتهج سياسة المحافظة عـــلى مشاعر اهل السنة والشيعة فى العراق ، وشدد على عدم الحاق الأذى بالأهالى ، وقام بزيارة بعض الأماكن الشيعة ، وأمر ببعض المشاريعالعمرانية ، فان الفرس استطاعوا اكتساب ولاء بعض العشائر العراقية ، واستمروا فى نزاعهم مع العثمانيين من أجل السيطرة على العراق منذ الثلاثينـــات من القرن السادس عشر الميلادى ، وحتى اوائل القرن التاسع عشر وكانت هذه الحروب تنقطع احيانا بين الدولتين لبعض الفترات لتعود أشد ضراوة من ســابقتها[٩] وتبادل الفرس والعثمانيون العراق فيما بينهما فقـــد غزا الفرس العراق فى الثلاثينات من القرن السابع عشر ، وفى الأربيعنات من القرن الثامن عشر ، وفى العشرينات من القرن التاسع عشر بمعدل غزو . كل قرن هذا فضلا عن حوادث الحدود المتكـــررة وكان كل من الطرفين

---

(٦) مجموعة من الأساتذة العراقيين : العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ص ٥٦٥ .

(٧) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ ص ١١١ .

(٨) العراق فى التاريخ ص ٥٧٠ .

(٩) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٢ .

الفارسى والعثمانى يستغل العصبيات فى العراق للدفاع عن مصالحه[١٠] ومع ذلك فان فترات الوجود الفارسى فى العراق كانت محدودة اذا ما قورنت بفترات الحكم العثمانى هناك .

والجدير بالذكر انه بعد ان تمكن العثمانيون من السيطرة على العراق تم تقسيمه الى اربع ولايات هى بغداد ، والموصل ، وشهر روز ، والبصرة وان كان قد حدث فيما بعد تبدلات فرعية فى هذه التقسيمات .

وراس الجهاز الحكومى « الوالى » ، وكان غالبا برتبة وزير ، وكان لوالى بغداد صلاحيات اوسع مما لولاة الولايات الاخرى ويساعد الوالى موظف يعرف باسم « كتخدا » ، وكان يعاون الوالى فى الشؤون العسكرية والسياسية ، وينوب عنه فى غيابه أما « الدفتردار » فهو المسئول عن النواحى المالية بتسجيل ايراداتها ومصروفاتها فى سجل خاص ، ويلى الوالى فى المكانة الاجتماعية القاضى فهو مسئول عن تطبيق العدل ، والاهتمام بالشرع ، ومراقبة الأسواق . وكان يساعد القاضى فى تنفيذ اوامره موظفان يلقب الاول بـ (صوباشى) — وهى رتبة عسكرية — وهو بمثابة رئيس الشرطة ، والثانى يعرف باسم (اختساب اغاسى) أى المحتسب[١١] .

وخلال الحكم العثمانى للعراق لم يكن العراق بعيدا عن التيارات التى تجرى فى اقطار العروبة الأخرى ، وقد تمثلت أهم تلك التيارات فى القرن التاسع عشر عندما استطاع محمد على تقويض أركان السيطرة العثمانية فى الشام فى عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وضم العديد من المدن السورية حيث جرت العديد من الاتصالات بين الزعماء العراقيين الناقمين على السلطات العثمانية والقيادة المصرية فى الشام تحرضها على التقدم لضم العراق باكمله الى الدولة الجديدة ، مما زاد من حراجة الموقف العثمانى فى بغداد ، ولكن بريطانيا لم تسمح بتفاقم الموقف الى اكثر من ذلك خاصة وانها كانت تعمل على توطيد نفوذها فى العراق .

---

(١٠) نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٨٢٧ .

(١١) العراق فى التاريخ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .

٢ — الأطماع الانجليزية فى العراق وتصدى العراقيين لها :

بدأ اهتمام بريطانيا بالعراق نتيجة لازدياد حجم التجارة البريطانية معه ، ولما اكتسبه طريق العراق من أهمية بالغة كطريق للمواصلات البريطانية الى الهند ، يضاف الى ذلك أن الأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط ، وفى وسط آسيا زادت من رغبة الانجليز فى مد خطوط حديدية عبر العراق وان كان افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩م فقد جعل الانجليز يعيدون حساباتهم(١٢) .

ونتيجة لوحدة المانيا ، ورغبتها فى الاتجاه نحو الشرق طبقا لمشروع Drang Nachosten فقد رأى المسئولون الألمان اهمية انشاء خط حديدى يجتاز الأناضول وشمال سورية والعراق الى الخليج ، ونظرا لأن الانجليز كانوا يخشون من نمو النفوذ الألمانى فى هذه المناطق تحول المشروع عن مقصده الى حلقة من حلقات الصراع السياسى والاقتصادى على المصالح بين الدول الأوربية الكبرى . وقد وقف السلطان العثمانى خلال ذلك الصراع بجانب الألمان خصوصا وانه وجد فى المانيا دولة أقل اطماعا فى بلاده من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يلاحقون الدولة العثمانية بأغلالهم وقيودهم . ونتيجة لذلك وبعد مفاوضات المانية تركية تم ابرام العقد النهائى فى الخامس من مارس ١٩٠٣ والذى تم بمقتضاه الاتفاق على ما يأتى :

١ — أن يمتد الخط الحديدى من قونية الى آدنه فالموصل فسامراء فبغداد فالبصرة ، وينتهى الى نقطة على الخليج يتم تحديدها فيما بعد .

٢ — اعطاء الامتياز للألمان لمدة ٩٩ عاما .

٣ — قدرت التكاليف الانشائية للمشروع بخمسمائة مليون فرنك والتزمت الحكومة التركية بضمان سنوى قدره « ١٦٥٠٠ فرنك » لكل كيلو متر .

---

(١٢) عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ / ١٩٢٢ ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٣٨٨ ، ٣٩٨ .

٤ — التزمت الدولة العثمانية بجعل تشغيل الخط فى يد « شركة سكة حديد الأناضول » .

وهكذا كان ابرام هذه الاتفاقية نجاحا كبيرا للسياسة الألمانية ، وسببا فى اعتراض الدول الأوربية على قيام الألمان بانشاء هذا الخط الحديدى مما ادى الى تعكير الجو الدبلوماسى والاعلامى والسياسى بين هذه الدول خصوصا وان بريطانيا كانت تشعر وكأنها الدولة المهيمنة على تنظيم أمور الشرق الأدنى والخليج(١٣) . ونتيجة لذلك عقدت بريطانيا اتفاقا سريا مع الشيخ مبارك حاكم الكويت فى عام ١٨٩٩ اتفق بمقتضاه على التزام حاكم الكويت بألا يتنازل عن أى جزء من أراضيه لأى دولة أجنبية دون موافقة الحكومة الانجليزية(١٤) .

وظل الصراع على أشده بسبب هذا الخط حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، ودخلت الدولة العثمانية بجانب المانيا فى الحرب ضد بريطانيا وفرنسا والروسيا ، وخرجت المانيا من هذه الحرب خاسرة مما أحاط السكون على استمرار تنفيذ هذا الخط الحديدى .

وخلال هذه الفترة ظهرت بين العرب صيحات تهيب بأبناء الأمة العربية فى السلطنة العثمانية أن يهبوا من رقادهم ، ويسعوا لاعلاء شأنهم ، وينفضوا عن أنفسهم غبار الخمول الذى تراكم عليهم قرونا عديدة ، ولكن هذه الصيحات أخذت بحذر من ابناء الأمة العربية الذين عمرتهم الفرحة والحماسة للوطنية العثمانية بعد اعلان دستور ١٩٠٨م ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام نوايا الاتحاديين المعادية للعرب ، فتملكهم التشاؤم ، واخذوا فى تنظيم الجمعيات ، وبث الدعايات بهدف نيل حقوقهم ، وصدا لطغيان تيار الاتحاديين عليهم الذين حاولوا هضم حقوق العرب ، وامتهان لغتهم(١٥) ، ونتيجة لذلك

---

(١٣) مصطفى ماهر وكمال رضوان : المانيا والعالم العربى ص ٣٧٢ — ٣٧٥ .

(١٤) نفسه ص ٤٠٨ .

(١٥) المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو / ديسمبر ١٩٣٨ مقال لأنيس المقدسى تحت عنوان « الحركات العربية المنظمة » ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

ظل العراق حتى اعلان الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م جـزءا من أملاك الدولة العثمانية ، تحكمه حكما مباشرا ، وترسل اليه الولاة والحكام من قبلها ، ولمـا اعلنت الحرب وانضم الأتراك الى جانب المـانيا وحلفائها اغتنم الانجليز الفرصة — وكانت لهم اطماع قديمة فى العراق — وسيروا الجيوش لاحتلال البصرة وتمكنوا من انزال جنودهم فيها بحماية اسطولهم ثم بدأوا عملياتهم الحربية ضد الدولة العثمانيـة[١٦] . ونتيجـة لاشتداد المقاومة ضد الانجليز فى العراق وتكبدهم خسائر بشرية ضخمة قام الانجليز باستمالة العرب ، وفصـلهم عن الترك بعد أن اذاعوا فى طـول البلاد وعرضها أنهم ما جاءوا فاتحين ولا مستعمرين بل جاءوا منقذين ومحررين ، وأنهم انما يحاربون باسم حليفهم وصديقهم الشريف الحسين بن على شريف مكة[١٧] . وبعد أن استتب الأمر للانجليز فى العـراق تجاهلوا وعودهم للعراقيين ، فانشأوا نظاما غربيا يقضى بالحاق العراق بحكومة الهند ، بمعنى أن يصبح العراق مستعمرة لادارة استعمارية تابعة لحكومة الهند ، يضاف الى ذلك انهم أثقلوا كواهل العراقيين بالمصادرات والغرامات بهدف تغطية الجزء الأكبر من نفقات الجيش البريطانى فى العراق[١٨] ، ونتيجة لذلك كبر على العراقيين الأمر ، ونشطت جمعياتهم الوطنية فى اضرام نار الثورة ضد الانجليز ، كما نشطت المساعى السلمية من أجل الاسـتقلال فعندما بدأت اجتماعات مؤتمر الصلح فى باريس فى ١٨ يناير ١٩١٩م طالب الأمير فيصل بن الحسين بانهاء الاحتلال البريطانى للعراق واقامة حكومة عربية فيه[١٩] ، ولكن الحلفاء فى مؤتمر سان ريمو قرروا وضع العراق تحت الانتداب البريطانى مما أصاب أمانى العراقيين بخيبة أمل ، وادخل قضيتهم فى طور جديد حيث بدأت الثورة العراقية فى الثلاثين من يونيو ١٩٢٠م وعمت معظم أنحاء العراق ودارت على اثرها معارك عنيفة بين العراقيين والقوات الانجليزية قام العراقيون خلالها بقطع السكك الحديدية شـمالى

---

(١٦) العراق فى التاريخ ص ٦٦٣ .
(١٧) أمين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، القاهرة ، البابى الحلبى ، ١٩٣٣ ص ٧٧ .
(١٨) العراق فى التاريخ ص ٦٦٤ .
(١٩) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٤١٧ — ٤٢٢ .

بغداد وجنوبى الحلة[٢٠] . ونظرا لتفاقم الأمور اضطر الانجليز الى تبديل سياستهم ، وادراك مدى أهمية التفاهم مع العرب ، وانتهى الأمر بالاتفاق على انشاء حكومة عربية برئاسة فيصل بن الحسين واعتراف بريطانيا باستقلال العراق ، وقيام حكومة وطنية فيه[٢١] ، وان تقوم بريطانيا بتركيز علاقاتها مع العراق على اساس معاهدة تحالف بينهما ، وان تسعى لتحقيق غاياتها عن طريق المفاوضات بدلا من فرض رغباتها كما فعلت فى سان ريمو . وهكذا اثبتت الثورة العراقية مدى قوة الوعى لدى العرب ، وقدرتهم على الصمود والمقاومة[٢٢] وفى ١١ من يوليو ١٩٢١ قرر مجلس الشورى العراقى تقديم عرش العراق الى الأمير فيصل بن الحسين والمناداة به ملكا ابتداء من ٢٣ من اغسطس ١٩٢١م[٢٣] .

٣ ــ العلاقات العراقية الايرانية :

نتيجة لاستمرار النزاع بين العثمانيين والفرس على العراق ظلت مشكلة الحدود العراقية الايرانية معلقة حتى ابرمت معاهدة ارضروم الأولى فى ٢٨ من يوليو عام ١٨٢٣ ، ونظرا لأن هذه المعاهدة لم تحسم الأمر تماما فقد تدهور الموقف بين الطرفين فى الأربعينات من القرن التاسع عشر بشأن المشكلة الكردية[٢٤] ووقعت المصادمات بين السلطتين العثمانية والفارسية فى عربستان وكذلك فى منطقة السليمانية وبنى لام ، وزهاب وطالب الفرس بلواء السليمانية وبعربستان ، وردت الدولة العثمانية على ذلك بتعبئة قواتها على الحدود ، وبدأت المناوشات العنيفة بين الطرفين مما ادى الى تدخل روسيا وبريطانيا فى الأمر وقبول الطرفين للوساطة لحسم ما بينهما من خلاف ، وعلى اساس ذلك وضعت معاهدة ارضروم الثانية فى ٣١ من مايو عام ١٨٤٧[٢٥] ولحقها بروتوكول طهران عام ١٩١١

---

(٢٠) العراق فى التاريخ ص ٦٦٦ .
(٢١) امين سعيد : المرجع السابق ص ٨٠ ــ ٨١ .
(٢٢) جورج انطونيوس : يقظة العرب ــ ترجمة على حيدر الركابى ــ دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ ص ٣٩٤ .
(٢٣) العراق فى التاريخ ص ٦٦٧ .
(٢٤) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٤ ــ ٨٢٥ .
(٢٥) نوار : تاريخ العراق الحديث ص ٣٣٤ .

وبرتوكول القسطنطينية عام ١٩١٣ ونتيجة لذلك قبلت الدولتان تسوية الحدود بينهما بصفة نهائية[٢٦] ، ولكن سرعان ما تخلت ايران عن هذه الاتفاقات وطرحت القضية أمام عصبة الأمم التى أوصت بالعمل على حل الموضوع عن طريق المفاوضات المباشرة . وقد تفاوضت السلطات العثمانية مع الفرس وكانت خلال تفاوضها لا تضع فى اعتبارها مصالح العراق وانما كانت تعالج المشكلة فى اطار مصالحها فحسب ، فسوت بعض مشاكلها مع ايران على حساب العراق[٢٧] .

وعلى كل حال فبعد المناداة بفيصل بن الحسين ملكا على العراق فى أغسطس ١٩٢١م[٢٨] ظلت ايران لا تعترف بحكم الملك فيصل على عرش العراق حتى عام ١٩٢٩ عندما أرسل الشاه رضا بهلوى برقية الى الملك فيصل يهنئه فيها على حكمه للعراق ، وعلى ما حصل من الغاء للامتيازات الأجنبية فى بلاده ، وقد رد الملك فيصل ببرقية تهنئة مماثلة الى الشاه . وعلى الرغم من هذه المبادرات الحسنة فقد قامت ايران ببناء مخفر حدودى على الأراضى العراقية مما جعل العراق يحتج لدى حكومة ايران . ونتيجة لذلك ابدت الحكومة الايرانية أسفها ، وأصدرت أوامرها الى قواتها بعدم تكرار ذلك ، كما وجه شاه ايران الدعوة الى الملك فيصل الأول لزيارة ايران ، وقد قبل الملك فيصل الدعوة ، وسافر الى ايران فى عام ١٩٣٢ ، وخلال ذلك قدمت ايران طلباتها بشأن تعديل الحدود فى شط العرب بما يتناسب مع رغباتها ، ولكن فيصل رفض ذلك الطلب رفضا قاطعا مما أثار الحكومة الايرانية ، وجعل علاقاتها مع العراق فى تدهور مستمر ، فبدأت ايران سلسلة من الاعتداءات على العراق منها الاعتداء على شط العرب ، وتجاوزاتها على الأراضى العراقية وبناء المخافر الحدودية فى العمق العراقى[٢٩] .

---

(٢٦) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٦ .

(٢٧) عبد العزيز نوار : العلاقات العراقية الايرانية ، بيروت ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢٨) العراق فى التاريخ ص ٦٦٧ .

(٢٩) عبد الرازق أسود : موسوعة الحرب العراقية الايرانية ، المجلد الأول ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٣٣ — ٣٨ .

٤ — العراق بين الاستقلال المنقوص والاستقلال الحقيقى :

سعت بريطانيا لعقد معاهدة مع الملك فيصل لتنظيم أمور انتدابها على العراق ، فوقع العراق مع بريطانيا اتفاقية فى أكتوبر ١٩٢٢ تضمنت فى متنها أسس الانتداب وفى ملاحقها الأربعة امتيازات واسعة للجانب البريطانى منها ضمان حقوق الموظفين البريطانيين فى العراق ، وعقد اتفاقية عسكرية تضمن وجوب مساعدة بريطانية للعراق ، واتفاقية قضائية لغرض حماية مصالح الأجانب ، هذا الى جانب اقرار اتفاقية مالية تضمن نقل المنشآت العامة البريطانية الى الحكومة العراقية لقاء ثمن باهظ جدا[٣٠] .

ونتيجة لازدياد حدة المعارضة الوطنية ضد هذه المعاهدة بدأت مناوضات اخرى بين الطرفين انتهت بمعاهدة ١٩٣٠ التى تتلخص نصوصها فى الاعتراف بالعراق دولة مستقلة وانهاء الانتداب البريطانى عليه ومساعدته فى دخول عصبة الأمم فى نظير أن تقوم بعثة عسكرية بريطانية بتدريب الجيش العراقى ، وأن يقوم العراقيون بتقديم التسهيلات اللازمة لبريطانيا من حيث طرق المواصلات وغيرها ، وأن يكون لبريطانيا قاعدتان حربيتان احداهما فى الحبانية بالقرب من بغداد والأخرى قرب البصرة ، وقد حددت مدة هذه المعاهدة بخمسة وعشرين عاما .

ونتيجة لذلك أعلن استقلال العراق ، ودخل على أساس ذلك عصبة الأمم فى عام ١٩٣٢م ، واصبح موئلا لحركة النهضة العربية ، فلجأ اليه المجاهدون العرب الفارون من التنكيل والملاحقة من سلطات الانتداب أو السلطات المحلية سواء فى فلسطين أم فى شرق الأردن أم فى سورية ، وتجمع العشرات منهم ليشكلوا تيارا وطنيا ينادى بتحرير الأقطار العربية ومقارعة الانتداب[٣١] .

---

(٣٠) العراق فى التاريخ ص ٦٦٨ .

(٣١) اسماعيل ياغى : العراق وقضية الاسكندرونة ، مقال منشور بمجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد السابع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٢٥ .

وقد استمر الملك فيصل فى حكم العراق اثنتى عشر سنة قاد خلالها العراق فى جميع مراحل تكوينه الدستورى وتحرره السياسى كما ادى دورا اساسيا فى معالجة قضاياه وادارة اعماله[٣٢] فقد عمل فيصل على تأسيس الجيش العراقى الحديث وتطوير نظم التعليم ، والتوسع فى المشروعات السياسية ، وبرهن على انه رجل دولة مقتدر ، وسياسى ذكى وماهر استطاع أن يكسب ثقة شعبه ، ويتحرك فى هدوء لانهاء النفوذ البريطانى[٣٣] وبعد أن وافاه الأجل فقد العراق بموته القيادة الرزينة الحكيمة ، وخلفه ابنه غازى — فى الفترة من عام ١٩٣٣ الى عام ١٩٣٩ — وكان شابا فى الحادية والعشرين من عمره يعوزه الخبرة ، وسداد الراى ، وخلال فترة حكمه حدثت العديد من التطورات السياسية فى العراق ، فقد شهد العراق العديد من التغييرات السياسية ، وشهد فساد الحياة النيابية ، كما شهد تدخل الجيش فى السياسة ، وقيامه بأول انقلاب عسكرى بقيادة بكر صدقى للاطاحة بوزارة ياسين الهاشمى . وعلى الرغم من فشل هذا الانقلاب فقد ظل الجيش هو القوة المحركة للحركة السياسية فى العراق .

ونتيجة لمقتل الملك غازى الغامض[٣٤] فى عام ١٩٣٩م نودى بابنه فيصل الثانى ملكا على العراق وكان وقتئذ يبلغ الرابعة من العمر ، ونظرا لصغر سنه عين خاله الأمير عبد الاله وصيا على العرش ، وظل يحكم بالتعاون مع نورى السعيد الذى تآمر على مصالح العراق لخدمة بريطانيا .

ونتيجة لقيام الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م أسرعت حكومة نورى السعيد بقطع علاقات العراق الدبلوماسية مع المانيا ، ووضع موارد وامكانات العراق لمساعدة بريطانيا فى الحرب . ولكن ذلك لم يرض العديد من القوى العراقية التى طالبت باتخاذ موقف الحياد فى هذه الحرب ، مما ادى الى استقالة وزارة نورى السعيد وتأليف وزارة جديدة برئاسة رشيد عالى الكيلانى فى عام ١٩٤٠م .

---

(٣٢) انطونيوس : المرجع السابق ص ٣٩٥ .
(٣٣) العراق فى التاريخ ص ٦٨١ .
(٣٤) اتهمت الحكومة البريطانية كما اتهم نورى السعيد بتدبير مقتله نظرا لتعزيز علاقته بقيادة الجيش وتأثره بالأفكار الوطنية والقومية .

وكان رشيد الكيلانى من الرجال الذين يجزمون بلزوم الاستفادة من هذه الفرصة لتخليص اكثر ما يمكن من حقوق الأمة العربية ، وكان لا يشك مطلقا بانه اذا انتهت الحرب فستضاعف العقبات كثيرا فى سبيل استعادة الحقوق المهضومة برغم ادعاء الحلفاء بانهم يحاربون فى سبيل الديمقراطية ضد النازية[٣٥] ومن هنا حاول الضغط على بريطانيا فطالبها بمنح فلسطين استقلالها ، وبالمساعدة على استقلال سورية ، وضمان تسليح الجيش العراقى بأسلحة حديثة ، والحصول على مكاسب اقتصادية لتطوير الأوضاع فى العراق ، وتعديل المعاهدة البريطانية العراقية ، ونيل اقصى ما يمكن نيله من الحقوق لأهالى الكويت وذلك فى نظير مساندة الحكومة العراقية للحلفاء ، واعلان الحرب على المحور[٣٦] . ولما رفض الانجليز مثل هذه الضغوط اتجهت وزارة الكيلانى الى المانيا التى اعلنت عطفها ، وتأييدها للقضايا العربية ، ونتيجة لذلك عملت بريطانيا على الاطاحة بوزارة الكيلانى ، واقامة وزارة اخرى موالية لها برئاسة طه الهاشمى ، ولكن ضباط الجيش العراقى الذين ساءهم هذا الوضع ارغموا وزارة الهاشمى على الاستقالة واعادة وزارة الكيلانى مما أثار ثائرة بريطانيا وجعلها تتذرع الأسباب لضرب العراقيين ، فقدمت السفارة البريطانية طلبا الى حكومة العراق بالموافقة على انزال القوات البريطانية فى البصرة بحجة عبورها الى فلسطين عن طريق العراق فوافقت الحكومة على هذا الطلب ، ولكنها طلبت تحديد عدد القوات البريطانية بما لا يزيد عن تسعة آلاف جندى فى وقت واحد ، وان لا يطول مكوثهم فى الأراضى العراقية بأكثر من ثلاثة أيام ، ونظرا لمخالفة القوات البريطانية لهذه الشروط احتجت الحكومة العراقية وقامت بتطويق قاعدة الحبانية[٣٧] مما دفع الانجليز الى اطلاق نيران مدافعهم على العراقيين المحاصرين للقاعدة ونشوب القتال بين الطرفين . ونظرا لتأزم الموقف اعلن العراق قطع علاقاته مع بريطانيا ، وطلب المعونة العسكرية والسياسية من المانيا ، وقد وعدت المانيا بتقديم كافة المعونات لمساندة العراق ضد

---

(٣٥) عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالى الكيلانى ١٩٤١ ، صيدا ، المكتبة العصرية ص ٩ .

(٣٦) العراق فى التاريخ ص ٦٩٥ .

(٣٧) نفسه ص ٦٩٩ .

الانجليز ، ولكن نظرا لتأخر وصول هذه المساعدات تمكن الانجليز من هزيمة الجيش العراقى ، ولجأ الكيلانى الى ألمانيا ، وانتهت حركته[٣٨] . والجدير بالذكر انه على الرغم من الموقف الوطنى الصلب الذى وقفه الكيلانى ورجاله ضد الانجليز دفاعا عن كرامة العراق والأمة العربية فان العراق لم يكن فى وضع يمكنه من محاربة الانجليز ، وكانت النتيجة اصابته باضرار مادية ومعنوية كان من الممكن تفاديها .

وعلى كل حال فقد قام نورى السعيد بتشكيل وزارة جديدة فى العراق عمل من خلالها على تصفية العناصر الوطنية ، والخضوع الكامل للسياسة الانجليزية . وبعد انتهاء الحرب توالت على العراق العديد من الوزارات ، وأعلن الوصى عبد الاله عن عزم الحكومة العراقية على اطلاق الحريات والسماح بتأليف الأحزاب ، فقدم نورى السعيد استقالته ، وشكلت وزارة جديدة برئاسة « حمدى الباجه جى » سمحت بعودة النشاط السياسى والتنظيم النقابى[٣٩] .

وخلال ذلك شارك العراق فى تأسيس جامعة الدول العربية كما انضم الى المؤتمر التأسيسى لانشاء الامم المتحدة كما جرت بينه وبين بريطانيا مفاوضات فى عام ١٩٤٦م من أجل تعديل المعاهدة القائمة بينهما وانتهت بتوقيع معاهدة فى عام ١٩٤٨ تنص على التحالف الدفاعى بين الطرفين ، وان يقوم العراق بمقتضاها بتقديم التسهيلات للجيوش البريطانية فى أراضيه ، وعلى اقامة قواعد جوية تساعد على الدفاع عنه ، وقد رفض

---

(٣٨) بعد انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٥ استطاع رشيد الكيلانى التخفى ، والوصول الى الرياض والالتجاء الى الملك عبد العزيز آل سعود . وقد اصطدم الملك عبد العزيز باصرار البريطانيين على ابعاد رشيد وتسليمه الى حكومة العراق بحجة أنه مجرم حرب ومحكوم عليه بالأعدام ، ودارت محاورات بشأنه بين الحكومتين السعودية والعراقية ، واستطاع الملك عبد العزيز حماية ضيفه واستمر رشيد فى زمره مستشاريه الى أن توفى مؤسس المملكة فى عام ١٩٥٣ فلجأ رشيد الى القاهرة . انظر : خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ج ٣ ، دار العلم للملايين ١٩٧٧ ص ١٢١٩ .

(٣٩) العراق فى التاريخ ص ٧١٢ .

الشعب العراقى هذه المعاهدة ، وقامت المظاهرات المناهضة لها مما اضطر الوصى عبد الاله الى الغائها .

وعندما اندلعت حرب فلسطين ١٩٤٨ ساد العراق جوا من الارهاب السياسى وانكمشت الحركة النقابية ، ومع ذلك اشتد موقف الشعب العراقى فى مطالبة حكومته بارسال قوات الى فلسطين للقتال بجانب المناضلين ، وقد تم ارسال قوات عراقية الى فلسطين ولكنها لم تتمكن من اداء دورها القتالى تماما خصوصا وان استعداداتها كانت غير مهيأة وتنقصها المعلومات عن العدو مما دفع نورى السعيد الى سحب الجيش العراقى من فلسطين ، ومكن العصابات الصهيونية من احتلال مواقعه(٤٠) .

وبعد استقالة وزارة نورى السعيد فى يوليو ١٩٥٢ أخذت الأحزاب العراقية تطالب بالاصلاح العام ، ولكن الحكومة استطاعت كبح جماح هذه الحركة ، ومارست الحكم الدكتاتورى باسم الأحكام العرفية وعلى الرغم من أن فيصل الثانى قد توج ملكا على العراق فى عام ١٩٥٣ فقد ظل خاله عبد الاله ونورى السعيد يحركان الأحداث فقام نورى السعيد فى عام ١٩٥٤ بتكميم الأفواه كما قام باشراك بلاده فى حلف بغداد فى عام ١٩٥٥ الذى قررت الدول الغربية تشكيله بهدف الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الشيوعية(٤١) ورفضته الدول العربية مما زاد من نقمة الشعب العراقى عليه وانتهى الأمر بتحرك الجيش العراقى فى عام ١٩٥٨ وقيامه بانهاء الحكم الملكى ، واعلان النظام الجمهورى مما أحدث تغييرات جذرية واضحة فى تاريخ العراق ، ودل على أن الشخصية العربية بطاقاتها الكامنة ، وبامكانيات اداء رسالتها الانسانية الحضارية شخصية قابلة على الاستمرار فى الوجود ، ترفض التسليم والاستسلام بل هى تنتقل دوما من حالة السلب الى حالة الايجاب وبدأ العراق يخط لنفسه طريقا آخر غير الطريق الذى رسم له من قبل .

وبعد أن تولى عبد الكريم قاسم رئاسة الحكومة وقيادة الجيش عمل على الانفراد بالأمر ، وأزاح زميله عبد الرحمن محمد عارف عن السلطة ،

---

(٤٠) العراق فى التاريخ ص ٧٢٦ — ٧٢٧ .

(٤١) نفسه ص٧٣٤ .

لانه كان يمثل نقطة قيادية فى العراق وبدات امارات الانحـــراف تظهر فى سياسته خاصـــة بعد بطشه بالوطنيين ، ونجاح الشيوعيين فى السيطرة عليه عن طريق الادعاء بأنهم يريدون أن يكون الزعيم الأوحـــد فى العراق[٤٢] يضاف الى ذلك انه قام بشن عملية ابادة حقيقية ضد معارضيه اسفرت عن سقوط آلاف الضحايا كما تميزت سياسته الخارجية بالعديد من الأزمات مع الدول العربية ، وانتهى أمره بانقلاب عسكرة اطاح بـــه فى الثامن من فبراير ١٩٦٣ وتسلم الحكم من بعده عبد السلام محمد عارف الذى استمر فى الرئاسة حتى سقطت به الطائرة فى البصرة عام ١٩٦٦ .

وقد تسلم رئاسة الجمهورية بعد الرئيس عارف أخوه عبد الرحمن عارف الذى استمر فى الحكم حتى استطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يقوم بانقلاب عسكرى عليه فى ١٧ من يوليو ١٩٦٨ ويتسلم السلطة .

وبعد أن تسلم حزب البعث ادارة دفة أمور العراق ، تولى الفريق أحمد حسن البكر رئاسة الجمهورية ، وفى عام ١٩٧٩ تنازل عنها للرئيس صدام حسين .

الحرب العراقية الايرانية :

وبعد قيام الثورة فى ايران ، بدأت النوايا الاستفزازية ضد العراق تتضح فى تصريحات القادة الايرانيين ، كما تعرضت المصالح العراقية فى ايران لأعمال عنف واعتداء ، **فتعرضت سفارة العراق فى طهران** للعديد من الأعمال الاستفزازية ، والتهديد بالحرق والاحتلال ، ومارست السلطات الايرانية أساليب غير مسئولة ضد المدارس العراقية فى ايران،واخذت فى الاساءة الى العراق هناك[٤٣] كما اخذت ايران فى انتهاك روابط حسن الجوار مع العراق فبدأت تتدخـــل فى شئونه عن طريق تشكيل امتدادات تنظيمية لمـــا يسمى بحزب الدعوة الذى يقوم بمساندة الحركات المناهضة ضد العراق ، والى جانب ذلك تعرضت حدود العراق الشرقية ومجاله

---

(٤٢) أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العربيـــة للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ص ٢٧ — ٢٨ .

(٤٣) عبد الرازق أسود : المرجع السابق ص ١١١ — ١١٣ .

الجوى الى العديد من التجاوزات التى شملت قيام الطيران العسكرى الايرانى باختراق حرمة الأجواء العراقية وقصف المخافر ، والأراضى والقرى الحدودية ، ومهاجمة دوريات الشرطة ، وحرس الحدود داخل الأراضى العراقية ، وكذلك انتهاك حرمة المياه الاقليمية العراقية والاعتداء عليها(٤٤) .

ونتيجة لذلك اندلعت نيران الحرب بين العراق وايران ثم دخلت هذه الحرب مرحلة خطيرة من التصعيد الشامل لحرب الناقلات وضرب الأهداف الاقتصادية والصناعية للعراق فقد واصلت ايران ضرب الناقلات فى المياه الدولية بالخليج ، وقصف المدن والمراكز السكانية العراقية خاصة مدينة البصرة(٤٥) .

وفى نفس الوقت قامت الطائرات العراقية بغاراتها على العمق الايرانى والأهداف البحرية الايرانية ، واستمرت الحرب بين الدولتين المسلمتين تحصد الأرواح وتأكل الثمار وخطط التنمية والثروات،وكادت تتسع دائرتها لتشمل دولا أخرى فى المنطقة خاصة بعد أن أعلنت الكويت عن اطلاق صاروخين ايرانيين على بعض المنشئات المدنية والصناعية بها(٤٦) .

وفى الوقت الذى بدأ فيه مناخ الوساطات الاقليمية والدولية الساعية لبذل جهودها لوقف نزيف الدم فى هذه الحرب المدمرة ، والتى أصبحت اتجاهاتها تصب فى صالح أعداء الاسلام الذين يتربصون بالأمة الاسلامية ويريدون تدمير قدراتها وتحطيم منجزاتها .

وعلى الرغم من نداءات العراق للسلام ، وجهود السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة السلمية ، فقد استمر النظام الايرانى فى مراوغته ضد السلام ، وفى المماطلة والتسويف فى الاستجابة لارادة المجتمع الدولى . ونظرا لخطورة الحرب على الأمن والسلام الدوليين ، والخسائر المادية

---

(٤٤) نفسه ص ١١٧ — ١١٨ .
(٤٥) عكاظ السعودية : العدد ٧٧٣٢ فى ١٤٠٨/١/١١هـ .
(٤٦) الشرق : العدد ٤٢١ فى ١٩ محرم ١٤٠٨هـ .

والبشرية التى تعرض لها البلدان فى أطول حرب وقعت ، وأكثرها شراسة وفداحة وبشاعة من حيث خسائرها البشرية والمادية بدأ المجتمع الدولى يحاول وضع حد فورى للنزاع فأصدر مجلس الأمن الدولى قراره رقم (٥٩٨) والذى يقضى بوقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وانسحاب كافة القوات الى الحدود المعترف بها دوليا ، وارسال فريق من مراقبى الأمم المتحدة من تنفيذ وقف اطلاق النار ، وتأكيده والاشراف عليه ، وأن يتم اطلاق سراح أسرى الحرب ، واعادتهم الى بلادهم وفقا لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة ١٩٤٩م .

وبعد صدور القرار بات من الواضح أن هنـاك ارادة دولية تحبذ وقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين ولكن مع هذه الارادة يصعب نفى وجود خلافات بين الدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية فى مجلس الأمن حول الوسيلة الأنجح لوضع حل نهائى للحرب خاصـة على ضوء رفض ايران القبول بمبدأ وقف اطلاق النار وقيامها فى الوقت ذاته بزرع الالغام البحرية فى الخليج[٤٧] ونتيجة لذلك فقد كلفت الدول الخمس الكبرى الأعضاء فى مجلس الأمن السكرتير العام للأمم المتحدة « دى كويلار » باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القرار ٥٩٨ .

وقد تمسك العراق بتنفيذ القرار ، ورحب بتنفيذه فى حين طالبت طهران بتحميل العراق مسئولية تفجير النزاع ، وأصرت على تحديد الطرف البادىء بالحرب ، وفرض العقوبات الصارمة عليـه قبل وقف اطـلاق النار ، واستمرت الحرب بين البلدين ولكن اصرار المجتمع الدولى عـلى ايقاف الحرب ونتيجة للمقاطعة التجارية والعسكرية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوربية على ايران[٤٨] أجبرت ايران فى نهاية الأمر على وقف اطـلاق النـار ، والدخـول فى المفاوضـات تحت اشراف الأمم المتحدة بجنيف .

وقد استحوذت مسألة السلام بين العراق وايران ، وسبل الانتقال من حالة وقف اطلاق النار الى حالة السلام اهتمام المسئولين فى العديد

---

(٤٧) الشرق : فى ١٩ محرم ١٤٠٨هـ ص ١٢ .

(٤٨) اليمامة السعودية : العدد ٩٧٨ فى ١٣ ربيع الأول ١٤٠٨هـ .

من الدول فبالاضافة الى ما بذله الأمين العام للأمم المتحدة « بيريزدى كويلار » من مساع حثيثة لتوفير فرص البدء لاقامة حوار صريح يؤدى الى حسم المسائل المتعلقة بين البلدين برزت مبادرة الرئيس العراقى صدام حسين والتى تضمنت الدعوة الى مفاوضات مباشرة فى العاصمتين ، مع اجراءات لفتح الحدود ، واتخاذ خطوات ملموسة أخرى منها تشكيل خمس لجان من الخبراء والفنيين ، تجتمع فى بغداد وطهران وبالتناوب لبحث جميع عناصر انواع النزاع بين البلدين خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر ، وذلك تمهيدا لعقد اجتماع بين وزيرى خارجية البلدين دون استبعاد لقاء على مستوى أعلى يحضره الأمين العام للأمم المتحدة فى مكان وزمان يتفق عليهما وذلك لايجاد الأساس لانهاء النزاع بين البلدين ، واقرار حقوقهما المشروعة ، واقامة علاقات حسن جوار حقيقية بين الطرفين ، وان يعقب ذلك اتفاقية سلام جديدة بين العراق وايران[٤٩] .

كما أعلنت موسكو عن استعدادها لعقد لقاء وزارى بين الطرفين من أجل التوصل الى حل شامل للنزاع بينهما .

ومن الواضح أن العراق يريد فتح صفحة جديدة مع ايران خاصة وأنه كان يسير بخطوات واثقة وعزيمة قوية ، ويتمتع بدعم مالى وسياسى ودبلوماسى ومعنوى من الدول الخليجية فى حين اصبحت ايران تعانى ضعفا فى بنيانها السياسى اضافة الى الوهن الاقتصادى والتخبط الفكرى والارتباك الداخلى[٥٠] يضاف الى ذلك أن حالة العراق العسكرية كانت لا تزال قوية وقادرة على مواجهة أية مواقف محتملة ، كما انه كان بوسعها الحفاظ على الوضع الراهن من منطلق ميزان القوى ، ومن منطلق التأكيد على ضرورة احترام الحدود الشرعية القائمة والمعترف بها دوليا . وقد اثبت ذلك وسائل التقييم التى تمتلكها الدول الكبرى من الأقمار الصناعية الى الاستخبارات والتحاليل السياسية[٥١] ، كما اثبته النجاح الذى حققه مجاهدو التصنيع

---

(٤٩) هيئة كتابة التاريخ بالعراق : الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى جمادى الأولى ١٤١٠هـ — ديسمبر ١٩٨٩م ، البيان الختامى والتوصيات ص ٧ .

(٥٠) الشرق الأوسط : العدد ٤٠٨٥ فى ١٩٩٠/٢/٣ .

(٥١) الحوادث اللبنانية فى ١٩٨٦/١٠/١٠ ص ٦٦ .

العسكرى فى العراق باطلاق منظومة العابد ، وصواريخ تموز البعيدة المدى ، وما اشاعه هذا الانتصار من عظيم الفرح والاستبشار ، وما عمق من ايمان بالقدرات العربية[٥٢] .

والواقع ان المفاوضات التى تمت تحت رعاية الأمم المتحدة لم تتعثر بسبب خلاف أولويات تنفيذ القرار ٥٩٨ بل بسبب افتقار الجانب الايرانى الى قرار حاسم فى شأن السلام فايران لم ترغب فى مفاوضاتها التطرق الى النواحى الجوهرية فى القضية والعمل على ايجاد تسوية شاملة ، وعقد معاهدة صلح متكاملة ، بل كانت تحاول أن تجعل من القرار ٥٩٨ مجرد هدنة بين البلدين ، والتقاطا للأنفاس[٥٣] .

وفى الحقيقة أن هذه الحرب لن تنته بمنتصر ، وكان على الايرانيين الاقتناع بضرورة أن الموقف لن يحسم الا عن طريق السلام[٥٤] وانه يجب تحكيم العقل والمنطق لقطع الطريق على محاولات التدخل الأجنبى التى تتبلور تحت مظلة حرب المصالح فى المنطقة .

وعلى كل حال فان هذه الحرب قد ادت الى تمزيق الصف الاسلامى فى وقت كان فى اشد الحاجة فيه الى الوحدة والترابط مما اتاح للقوى الخارجية العمل على استغلال هذا الصراع للاخلال بموازين العلاقات فى العالم الاسلامى ، ومما جعل اسرائيل تنتهز فرصة اشتعال هذه الحرب ، وتقوم بضرب المفاعل النووى العراقى على أطراف بغداد فى يونيو من عام ١٩٨١[٥٥] هذا الى جانب قيامها بتزويد ايران بالأسلحة والمعدات الحربية لضرب العراق .

ونتيجة لتبين الخيوط الواضحة للنصر العراقى فى حرب الخليج بدأ العراق يتجه نحو التحرر من التبعية بكافة صورها الاقتصادية والعلمية

---

(٥٢) هيئة كتابة التاريخ بالعراق : الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى ١٤١٠هـ — ديسمبر ١٩٨٩ ، البيان الختامى والتوصيات ص ٥ .

(٥٣) اليمامة : العدد ١٠١٩ فى ٩ محرم ١٤٠٩هـ .

(٥٤) الحوادث فى ١٩٨٦/١٠/١٠ ص ٦٦ .

(٥٥) مجلة الدعوة : العدد ١٠٥٩ فى ١٤٠٧/١/٢٥هـ .

والتكنولوجية والتسليحية ، كما بدأ فى قطع شوط بعيد نحو بناء المستقبل ، ونحو زيادة قدراته المستقبلية فى الدفاع عن نفسه وارضه . ومن هنا بدأ اعداء تقدم العرب ، والراغبين فى اجهاض اى تفوق عربى الى محاولة تشويه موقف العراق لاجهاض تقدمه[٥٦] وقد رد عليهم الرئيس العراقى صدام حسين بأن بلاده لديها التصميم والارادة بأن ترد على اى عدوان ، وعندما ازدادت التهديدات الصهيونية للعراق رد عليهم الرئيس العراقى بأنه سيحرق نصف اسرائيل بالأسلحة الكيماوية المزدوجة اذا حاولت الاعتداء على العراق .

ان اسرائيل لم تخف اهدافها المعلنة ضد العراق . فقد قال « اسحاق شامير » و « شمعون بيريز » و « رفائيل ايتان » اكثر من مرة أن تل أبيب كانت على الدوام تخشى القوة العسكرية المتنامية فى العراق[٥٧] .

ونتساءل فى النهاية هل من خاسر فى هذه الحرب المجنونة غير ابناء الشعبين المتحاربين ، وأشقائهما من العرب والمسلمين .

وفى الوقت الذى كان ينتظر فيه العالم العربى الدعم والمساندة من العراق ، قام الرئيس العراقى بغزو الكويت فى الثانى من اغسطس ١٩٩٠ مما أدى الى تفتيت شمل العالم العربى ، واهتزازه امنيا واقتصاديا واجتماعيا ، وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراته بشأن انسحاب العراق من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين التى انتهت بهزيمة الجيش العراقى واعادة السيادة الى الكويت ، وتأخر المنطقة العربية تنمويا وعمرانيا مراحل زمنية ترمم خلالها بنيتها وتستعيد توازنها واستقرارها .

---

(٥٦) القبس الكويتية : الثلاثاء فى ٨ رمضان ١٤١٠هـ / ٣ ابريل ١٩٩٠م .

(٥٧) المشرق : ١٩ محرم ١٤٠٨هـ ص ١١ .

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة من الأمير شكيب ارسلان الى الكاتب العراقى عثمان حداد يوضح له فيها وجهة نظره فى القضية العربيـــة

جنيف فى ٣ رمضان المبارك ١٣٥٩ الى بغداد .

الى الأخ والابن عثمان المحترمين أطال الله بقاهما واخذ بأيديهما .

قد وصلنى المكتوب الثانى الذى تاريخه ٢٥ مايو . وقد صرت باعثا اليكم بمكتوبين بواسطة برلين أولهما تاريخه ١٢ ايلول وثانيهما تاريخه ٢٤ منه ارجو تعريفى وصولهما مع تعريفى وصول هذا الذى انا كاتبه الآن وان تكتبوا الى بواسطة برلين :

قضية الاعلان الرسمى الذى يقترح على دولتى المحور الاسراع به باعترافهما باستقلال البلاد العربية التى انفصلت عن السلطة العثمانية والبلاد العربية التى كانت مستقلة من قبل ذلك والبلاد العربية التى استقلت بعد الحرب العامة كالعراق ومصر هذه انا : الفقير الى ربه متابعها من أكثر من سنة بكل الحاح لاسيما فى برلين وقد اقترحتها شفاها ثم بعد أيابى من برلين الى سويسرة فى أول شهر رمضان الفائت كتبت بشأنها عدة مرات وكانوا يجيبون انهم اذاعوا ذلك بالراديو وكنت أجيبهم ان كلاما يذهب فى الهواء لا أعده تصريحا رسميا فنحن لأجل اطمئنان الأمة العربية نريد تصريحا خطيا من الحكومة الالمانية بذلك تنشره الجرائد وتذيعه المذاييع . وكلما طالبناهم بهذا عمدوا الى الراديو فكرروا الشىء نفسه وعمدنا نحن الى الكتابة قائلين : هذا لا نعده تصريحا رسميا وانما نريده بالورق منشورا بالصحف . والى الآن لم نحصل عليه حسبما طلبناه . أهذا على نية انهم لا يريدون أن يتقيدوا بازاء الغرب بتصريح رسمى فى مسئلة جليلة كهذه ! أهذا لأنهم لا يجدوننى كافيا لأمثل العرب وحدى فى طلب كهذا وهم ينتظرون صدور هذا الطلب عن ابن سعود والامام

يحيى والحاج أمين الحسينى وزعماء العراق وسورية ! أهذا لأنهم مشغولون بالحرب وبما هواهم من هذا الآن ؟ لا أعلم . ولذلك قلت فى كتابى السابق أن تطلبوا اليهم هذا الطلب . لورق موقعا عليه منكم ومن زعماء العرب العراقيين وتأخذوا مثله من الزعماء السوريين وان أمكن أن تبعثوا الى جلالة الايابين ليقترحا على برلين هذا الاقتراح وانا لو كانت البوسطة حرة لكتبت اليهما بذلك ولكن من شهر ابريل جاءنى من جلالة عبد العزيز مكتوب فتحته المراقبة الانكليزية والصقت عليه علامة الفتح وكتبت انا اليه بما وجدت وقدمت له الورقة المكتوب عليها بالانكليزى انه فتح فما جاءنى جواب فعلمت ان البوسطة فى أيدى هؤلاء الجماعة فقطعت مكاتبتى لهما مع انى من أول الحرب كانت المكاتبة بينى وبين كل منهما متصلة واظلنني قد كنت ذا تأثير فى ملازمتهما للجياد فقد كان كل منهما يجاوبنى على كل كتاب طالبا مواصلة الكتابة اما ايطاليا فقد نصحت لها بان تطمئن المصريين على استقلالهم وانها ان كسرت الانكليز فى مصر سحبت جنودها منها فى الحال وكان قنصل ايطاليا فى جنيف يبلغ ما أقوله تلغرافيا الى رومة ويؤكد لى ان كتاباتى وآرائى تقدم الى موسولينى حالا . وقد نشرت ايطاليا هذا البيان بالورق وكررته وأعلنت زيادة عليه أنها تعد القاهرة مدينة مفتوحة فلا ترميها بالقنابل وهكذا استجابت الحكومة المصرية الى فكرة عدم الحرب .

واطمئن المصريون على مستقبلهم وأبوا أن يدخلوا فى الحرب برغم مساعى انكلترا فى ادخالهم فيها وبرغم النقراشى وأحمد ماهر واضرابهما وقنصل ايطاليا الجنرال هنا وهو بينهم من السياسيين يقول لى ان آراءى هذه أثرت كثيرا فى خطة زعيم ايطاليا هذه .

أخبرتكم فى كتابى السابق انه يوم طلبت فرنسا الصلح واجتماع الزعيمين الالمانى والطليانى فى مرونيخ بعثت الى كل منهما ببرقية احداهما بشيفرة قنصلية المانيا والثانية بشيفرة قنصلية ايطاليا « باننا لا نقدر ان نطيق وجود فرنسا فى سورية ولبنان وكذلك مسلمو شمالى افريقية ينتظرون ساعة خلاصهم من فرنسا دولتى المحور تعترفان لنا بالاستقلال التام الناجز وانى انا ذو صلاحية لذلك » .

هذا لم يرد لي جواب منهما عنه وانا مقصدى ان يعرفا ماذا نريد حتى لا يقولا لنا فى المستقبل : ما ذكرتم لنا شيئا مما تطلبون .

ثم ذكرت لكما فى احد مكتوبى السابقين ان اشارة من برلين وردتنى بابداء آرائى كيف يجب أن تكون حكومات البلدان العربية بعد هذا الحرب فحددت لائحة ٣٠ صفحة تتضمن أن تكون سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن مملكة متحدة ثم نرتبط باتحاد آخر أو بمحالفة مع العراق وكذلك مع المملكة السعودية وان أصر السوريون على الاتحاد بالعراق فلابد من ارضاء ابن سعود بشرق الأردن وان رضى اهل فلسطين فتكون فلسطين وشرق الأردن تحت سيادته . هذا أمر يفصل فيه مؤتمر عربى تتمثل فيه كل البلاد العربية . ثم ان هذه الممالك ترتبط سياسيا واقتصاديا وعسكريا مع المملكة السعودية والمملكة اليمنية داخلة فيها الحج والنواحى التسع وحضرموت والمكلا وينضم الى هذه المملكة ايضا المملكة العمانية والبحرين والكويت . ثم تنعقد محالفة بين هذه الكتلة العربية ومصر المتحدة مع السودان فيكون الجميع نحو ٥٠ مليون نسمة ، ووجود هذه الكتلة العربية ضرورى للسلام العام اذ بقاء هذه البلدان مبعثرة يعرضها للخطر سواء من جهة تركيا أو من جهة دول أوربية فتشب الحروب بسببها . وقد تكلمنا على معاهدة تحالف بين هذه الكتلة العربية ودولتى المحور ملخصا . وانا خائف من خلاف بين ابن سعود والعراق من أجل سورية اشرتما بان اذهب الى رومة وبرلين لأجل المفاوضة فى هذا الشأن ولو ادى ذلك الى منع رجوعى الى سويسرة والحال انى انا كتبت كل ما أريده من هنا الى برلين ورومة فهما تعلمان كل افكارى بواسطة قنصليتيهما هنا على انى لو تحققت أن سفرى اليهما يأتى بالنتيجة المطلوبة لذهبت ولم ابال بعدم الرجوع ولكن الذهاب من دون دعوة من هناك قد يكون بلا نتيجة وافقد حرية الرجوع وتبقى عائلتى فى جنيف وحدها وهى لا تستطيع أن تعيش أن لم اكن عندها واحوال المعيشة فى اثناء هذه الحرب ضنك شديد . نحن فى انتظار جوابكما والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابو غالب

أعاد الله هذا الشهر المبارك عليكما
مائة عام بالسعد والاقبال

ملحق (٢)

رسالة من الأمير شكيب ارسلان الى الكاتب العراقى عثمان حداد فى ١٠ / ١٠ / ١٩٤٠

جنيف فى ٧ شهر رمضان المبارك ١٣٥٩

حضرة ولدنا الأعز الأجل السيد عثمـــان كمال حفظـــه الله وأدام توفيقـــه .

اخذت اليوم كتابك رقم ٢١ شعبان وفهمت منه وصول كتابى المؤرخ فى ١٠ شعبان وسيصلكم ان شاء الله غيره فانى كتبت اليكم مكتوبا ثانيا فى ٢٤ ايلول وفق ٢٤ شـــعبان ثم مكتوبا ثالث فى ٧ تشرين الأول أى فى ٤ رمضان وكل هذا على طريق برلين وهاانذا الآن كاتب الرابع على الفور لمـــا اوصيت بـــه من أن لا اكتب اليك بعد ٢٠ رمضـــان لأن الرســـول لا ينتظر الا الى هذا التاريخ فعسى أن يدركه كتابى هـــذا وهو لا يزال فى مدينة السلام .

اخبرتكم من قبل أن المكتوب الأول عاد فوصل وقد اعتذر عن تأخيره بعدم وصوله الى رومة فى حينه . اما أن المـــانيا اعترفت لايطاليا بكونها سيدة البحر المتوسط فلا يستلزم ذلك مساس ايطاليا لاستقلال البـــلاد العربية فهذا شىء آخـــر . ولا اظن المـــانيا ستنظر الى البلاد العربيـــة سورية وفلسطين والعراق وجزيرة العرب كمستعمرات لايطاليا ؟ لو كان ذلك كذلك ما جاءتنى اشارة من برلين لبيان آرائى فيما يجب أن يـــكون عليه مستقبل الممالك العربيـــة ؟ ثم لو كان ذلك كذلك ما جاءنى اثنان من مأمورى الخارجية الألمـــانية فطلبا الى — وذلك من ٢٠ يوما — توصية الى جلالة ابن سعود وشـــبه اشارة تعـــريف الى من اعتمـــد عليهم فى سورية . وانا مع كونى ارجح أن المـــانيا جعلت لحليفها حق التقـــدم فى الشرق الأدنى لا أعتقد أن المـــانيا ستلقى حبلها على غاربها فيه . ومع هذا فنحن ان كنا « أوادم » تقرب الينا كل من هؤلاء واعترفوا باستقلالنا التام واكتفوا بالمحالفات التى لا تجحف بحقوقنا ومصالحنا وان لم نـــكن

« أوادم » كما كنا فى بيئات كثيرة فلا تفيدنا المانيا ولو اصدر لنا هيتلر فرمانا مطنطنا بكل استقلال نريده . وبالاختصار ان مست ايطاليا استقلال سورية او فلسطين او مصر — وهذا لا اظنه — نكون اعداء لها بكل وجه وان وافقتها المانيا على ذلك نعادى المانيا ايضا ونعود فنصالح اعداء دولتى المحور ونتفق مع الاتراك وان لجأ الأمر مع البولشفيك فان الدنيا لا تصير كلها صفا واحدا . فأى من اعتدى علينا صارحناه بالعداوة وصادقنا عدوه . لا تظنوا انى اكتب هذا فى رسالة خصوصية لكم وللسيد صلاح فقد كتبته بامضائى فى جريدة البيان الواصلة فى طيه من الاحتياط لعل هذه المقالة لما تصلكم . وقد ترجمتها وبعثت بها الى رومة صحبة مكتوب منى أؤيدها فيه وذلك بواسطة كورتيزى قنصل ايطاليا الجنرال هنا . ومثل ذلك فعلت تجاه المانيا تماما . وأنتم فابلغوا من تجتمعون بهم من الطليان والالمان ذوى العلاقة بالسياسة اننا نحن لا نعتقد بأنهم يغدرون ويفعلون افعال الانكليز والفرنسيين الا انه على فرض البعيد جرى هذا منهم فالأمة العربية ستكون هذه خطتها كما قلت انا ولا حكمة غير هذه الحكمة .

قرىء فى بعض الجرائد المصرية ان العراق يقترح اعادة الحكومة الوطنية العربية فى الشام فعسى ان يتم ذلك قريبا ويعود مجلس النواب السورى كما كان — لأن حل فرنسا له كان من جملة النصب — ويعود هاشم الاتاسى رئيسا للجمهورية ويكون شكرى القوتلى رئيسا للحكومة السورية ويقصى عنها المذبذبون ... ولا يلزم انتظار نهاية الحرب فمن يعلم متى تكون نهايتها ؟ ليس عندى من الأخبار الا ما تعلمونه بالجرائد والراديو وعسى أن يكون وراء اجتماع هيتلر وموسولينى تدابير يقصر بها اجل الحرب (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) وسلامى الى صلاح افندى الذى ذكره ورد فى تقريرى الذى تقدم الى برلين فى ٢٢ آب وقيل فيه انه لابد أن يؤخذ برأيه فى كل مسئلة عربية وانه أعظم خصم راته انكلترة فى طريقها الى الشرق الأدنى هكذا بالحرف فلا ازال اتوجس خيفة الخلاف بين ابن سعود والعراق من أجل سورية فى المستقبل . وعلى الله فليتوكل المتوكلون .

المخلص
أبو غالب

ثبت المصادر والمراجع

أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ .

أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م .

امين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ، القاهرة ، البابى الحلبى ، ١٩٣٣م .

بديع جمعة : الشاه اسماعيل الكبير ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م .

جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى — دمشق مطبعة الترقى ، ١٣٦٥هـ .

خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ج ٣ ، بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م .

عبد الرازق أسود : موسوعة الحرب العراقية الايرانية ، المجلد الأول بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ١ القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

عبد العزيز نوار :

(أ) تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

(ب) الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣م .

(جـ) العلاقات العراقية الايرانية ، بيروت ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤ .

عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالى الكيلانى ١٩٤١ ، صيدا المكتبة العصرية ، د . ت .

عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ — ١٩٢٢ ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

مجموعة من الأساتذة العراقيين : العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق احسان حقى — بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ، القاهرة دار الفكر العربى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

مصطفى ماهر وكمال رضوان : المانيا والعالم العربى .

هيئة كتابة التاريخ بالعراق : الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى جمادى الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م ، البيان الختامى والتوصيات .

الدوريات :

الحوادث اللبنانية : ١٩٨٦/١٠/١٠ .

الدعوة : العدد ١٠٥٩ فى ٢٥ / ١ / ١٤٠٧ هـ .

الشرق الأوسط : العدد ٤٠٨٥ فى ٣ / ١٩٩٠م .

عكاظ السعودية : العدد ٧٧٣٢ فى ١١ / ١ / ١٤٠٨هـ .

القبس الكويتية : ٨ رمضان ١٤١٠هـ — ٣ ابريل ١٩٩٠م .

مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض : العدد السابع ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المقتطف : المجلد الثالث والتسعون ، يونيو — ديسمبر ١٩٣٨م .

اليمامة السعودية : العدد ٩٧٨ فى ١٣ ربيع الأول ١٤٠٨هـ والعدد ١٠١٩ فى ٩ محرم ١٤٠٩هـ .